شخصيات من الحرمين الشريفين (٤٧)
عقيل بن أبي طالب الهاشمي (٢)

محمد سليمان

ما زلنا مع عقيل بن أبي طالب في الحلقة الثانية والأخيرة من سيرته، وبدايةً أقول: إنَّ عقيلاً من صلب رجل عظيم وسيد في قومه وأكبر زعيم لقريش، ونشأ وتربّى في بيت هذا السيد الكبير، وهو بالتالي من آلٍ عرفوا بالحكمة والقوّة والشجاعة، يعلِّمون ذلك مَن حولهم من الناس، وبالأولوية فإن عقيلاً وإخوته أحقّ الجميع بأن يتلقوا تلك المناقب ويتعلموها ويعيشوها ويتمثلوها في سيرتهم،... ومَن حولهم من الناس يعرفون ذلك فيهم، وكيف لا؛ ويرفرف فوق رؤوسهم ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا شجعاناً»!

فالقول بأنَّ عقيلاً لم يكن له حضور في بعض مواقع المسلمين الأولى ومشاهدهم، وكذا في مواقع الإمام عليٍّ عليه السلام، إما أنه يخلو من الدقّة، أو أنَّ للرجل عذراً كالمرض الذي صرّح به ابن سعد أو العمى، أو اعفاء الإمام عليٍّ عليه السلام له، وبالتالي لم يكن جبناً

منـه، أو عـدم قناعـة بأحقيّتها، ومـا جاء من أخبار تُشـير إلى حضـوره فيهـا، أو في بعضها عـلى الأقـل، هي الأقـرب لنشـأته كباقي إخوتـه وأخواته في بيـت عرف بتلـك الصفات، وهـي الأرجـح لعلاقتـه الطيبة بالنبـيّ صلى الله عليه وآله وبالإمام عـليّ عليه السلام، وبقبوله لما يحملانـه من حقٍّ ومبـادئ وقيم، وعـدم وجود نقـل يثبت معارضتـه وممانعتـه لذلك ...

وقعة مؤتة :

ومؤتـة بلـدة في الأردن، قُـدر لها أن تكون سـاحة للقتال بعد السـابع من شـهر جمادى الأولى في السـنة الثامنـة للهجـرة النبويـة الشريفـة بـين المسـلمين وأعدائهـم الـروم ومَـن حالفهـم من قبائـل العرب، وتُعـدُّ أول معركة للمسـلمين خـارج الجزيرة العربيـة، قادها كلٌّ مـن زيـد بـن حارثة فجعفـر بن أبي طالـب فعبـد الله بن رواحـة. وبعد استشـهادهم، تـولّى القيـادة خالـد بن الوليـد وتَّم انسـحاب المسـلمين على يديـه ... وكان عقيـل بن أبي طالب مـن المشـاركين فيها.

يقول ابن سعد وكذا غيره : شهد غزوة مؤتة ...

وعـن جابـر بـن عبـد الله رضي الله عنه أنَّه قـال: «بارز عقيـل بن أبي طالـب رجلاً يوم مؤتة فقتله، فنفله رسـول الله خاتمه وسـلبه».

محمـد بـن عقيل قال: قتل عقيـل رجلاً مـن المشركين يوم مؤتـة، فأخذ خاتمـه وجارية كانـت معـه، فأتـى بهما رسـول الله صلى الله عليه وآله فأخـذ الخاتـم، فجعلـه في إصبعـه، ثـم قـال: لولا التمثـال. قال: فنفـل عقيلاً خاتمـه وجاريته.

وعـن عبـد الله بـن محمد بـن عقيـل أنَّ جدَّه أصـاب يـوم مؤتة خاتمـاً فيه تماثيـل فنفله أباه.

ويُقـال: إنَّـه بعـد أن كان حـاضراً في غزوة مؤتة، لم يُسـمع لـه ذكرٌ في أي غـزوة أُخرى لا في فتـح مكـة ولا بعدها.

فهم وإن صرحوا بحضوره مؤتة كابن سعد، إلّا أنهم ذكروا عذراً لعدم سماعهم بحضوره في غيرها، فيقول: خرج عقيل مهاجراً في أول سنة ثمان، وشهد مؤتة. ثمَّ رجع فتمرض مدّة، فلم يسمع له بذكر في فتح مكة ولا حنين ولا الطائف، وقد أطعمه رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر مائة وأربعين وسقاً كلّ سنة.

وكذا ابن حجر: وشهد غزوة مؤتة، ولم يسمع له بذكر في الفتح وحنين كأنَّه كان مريضاً، أشار إلى ذلك ابن سعد بقوله:.. شهد غزوة مؤتة، ثمّ رجع، فعرض له مرض، فلم يسمع له بذكر. لكن ابن حجر في فتح الباري قال: وممن ذكر الزبير بن بكار وغيره أنه ثبت يوم حنين أيضاً جعفر بن أبي سفيان بن الحرث وقثم بن العباس وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل ابن أبي طالب وشيبة بن عثمان الحجي.

شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرَّ من قد فرَّ عنه فأقشعوا

وفي تهذيب التهذيب يذكر ابن حجر قول ابن سعد: خرج عقيل مهاجراً في أول سنة (٨) فشهد مؤتة، ثمَّ رجع فعرض له مرض، فلم يسمع له بخبر لا في فتح مكة ولا حنين ولا الطائف، وله عقب.

وبعد أن ينقل ابن حجر قول ابن سعد هذا، يقول: وفيما قال نظر، فقد روى الزبير بن البكار من طريق الحسين بن علي عليهما السلام، قال: كان ممن ثبت مع النبيّ صلى الله عليه وآله يوم حنين العباس وعليٌّ عليه السلام وعقيل وسمّى جماعة.

وفي كتاب المرويات ذكر أيضاً عقيلاً ضمن عدد من الأسماء المشاركة في حنين: «قثم بن العباس، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، وعبد الله بن الزبير، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، وشيبة بن عثمان الحجبي، وأبو دجانة ـ سماك بن خرشة الأنصاري ـ وأبو طلحة ـ زيد بن سهل الأنصاري ـ وسعد بن عبادة،

وأسيد بن حضير، وأبو بشر المازني الأنصاري». ويأتي غيرها...[1]

فتح مكة:

في اليوم العشرين من شهر رمضان المبارك من العام الثامن للهجرة النبوية الشريفة تمَّ فتح مكة من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو حدث كبير في تاريخ الرسالات وبالذات رسالة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله... وقد اختلف في حضور عقيل في فتح مكة وحتى في حنين والطائف كما ذكرنا أعلاه.

وهنا لا بدَّ أن نشير إلى أنَّ ما روي من أنَّ أمَّ هانئ أجارت أخاها عقيلاً يوم الفتح، وهو ما ذكره الطبراني في معجمه: «وإنَّ أمَّ هانئ بنت أبي طالب أجارت أخاها عقيلاً، فأجاز النبيُّ صلى الله عليه وآله جوارها».

فهو إن لم نقل فيه اشتباه بسبب الراوي، وهو أبو مرّة مولى عقيل بن أبي طالب، وإلّا فهو يتصف بالضعف أو البطلان؛ لمخالفته لما أكّدته الأخبار من أنَّ اللذين أجارتهما أُمُّ هانئ من بني مخزوم، كما جاء في كلامها: «... فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم...».

وكما عن ابن هشام في ذيل ما ذكره ابن اسحاق القائل: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مرة، مولى عقيل ابن أبي طالب، أنَّ أمَّ هانئ بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بأعلى مكة، فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي.

قالت: فدخل عليَّ عليُّ بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقتُ عليهما

١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد رقم ٩٦٩٩؛ مسند أحمد بن حنبل: ٢١٩؛ وكذا الطبقات الكبرى: ٤: ٤٣؛ السيرة النبوية لابن هشام: ٣: ٣٦٥، وغيرها؛ فتح الباري لابن حجر ٨: ٢٣؛ وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٧: ٢٥٤ عقيل بن أبي طالب رقم ٤٦٣؛ كتاب مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، لإبراهيم بن إبراهيم قريبي ١: ١٨٤.

بـاب بيتـي، ثمَّ جئت رسـول اللهﷺ وهـو بأعلى مكة، فوجدته يغتسـل من جفنـة إن فيها لأثـر العجـين، وفاطمـة ابنتـه تسـتره بثوبـه، فلما اغتسـل أخـذ ثوبه فتوشـح به، ثـمَّ صلّى ثـماني ركعـات مـن الضحـى ثـم انـصرف إليَّ. فقـال: مرحبـاً وأهـلاً يـا أمَّ هانئ، مـا جاء بـك؟ فأخبرتـه خـبر الرجلين وخبر عـليٍّ عليه السلام. فقالﷺ: قـد أجرنا من أجـرت، وأمنا من أمنت، فـلا يقتلهما.

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة.

و ذكـره المتقـي الهنـدي:«وأنَّ أمَّ هانـئ ابنـة أبي طالـب أجـارت أخاها عقيـل بـن أبي طالب يـوم الفتـح، فأجاز رسـول اللهﷺ جوارهـا». (كـر ـ وقـال: هـذا الحديـث غـير محفـوظ، إنـما أجـارت رجلـين مـن بني مخـزوم).

وكـذا قال ابن عسـاكر بعد أن نقـل الرواية نفسـها: إنَّ هذا الحديث غـير محفوظ، وإنما أجـارت رجلـين من أحمائهـا من بني مخـزوم، فأما عقيل، فتقدم إسـلامه قبـل الفتح، والله أعلم.

فهل ترك لنا عقيل ... ؟!

وهب رسـول اللهﷺ لعقيـل داره التـي تسـمى دار ابـن يوسـف، قال الطـبري: قيل: إنـه ولـدﷺ في الـدار التـي تعـرف بـدار ابـن يوسـف، وقيـل: إنَّ رسـول اللهﷺ كان وهبها لعقيـل بـن أبي طالـب، فلـم تـزل في يـد عقيل حتى تـوفي، فباعهـا ولـده من محمد بـن يوسـف أخي الحجاج بن يوسـف، فبنـى داره التي يقال لهـا دار ابن يوسـف، وأدخل ذلـك البيـت في الـدار حتـى أخرجتـه الخيـزران، فجعلتـه مسـجداً يصلّى فيه ...

ويُقـال: إنَّ عقيـلاً، بعـد هجـرة رسـول اللهﷺ مـن مكـة المكرمـة إلى يثـرب، (المدينة المنـورة) بـاع دار رسـول اللهﷺ ويبـدو أنَّها المنـزل الذي تسـكنه أُمُّ المؤمنـين خديجة، وفيه ابتنـى رسـول اللهﷺ بهـا، وولـدت أولادها، وبقيـت فيه حتـى وفاتهاعليها السلام. وبقي يسـكنه

رسـول الله ﷺ حتـى هاجـر إلى المدينة.

ويقال: اشـتراه معاوية فيما بعد في خلافته، فاتخذه مسـجداً. وفي خبرٍ أن بيت خديجة عليها السلام أخـذه معتـب بـن أبي لهـب ... ولم يبقَ بيت لرسـول الله ﷺ حتـى أنَّه لما دخل مكـة المكرمة في يـوم فتحها، أو في عمـرة القضية، أو في حجّة الوداع عـلى اختلاف الروايات...

قيل له ﷺ: ألا تنزل منزلك من الشِّعب؟

قال ﷺ: فهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ وهل ترك لنا عقيل من ظلّ؟

وفي بعضها في حديث أسامة بن زيد: «... من منزل»، وفي أُخرى: «وهل ترك لنا».

عقيل من رباع أو دور... ؟

عـن أبي رافـع قال: قيـل للنبيّ ﷺ يـوم الفتـح: ألا تنـزل منزلك بالشـعب؟ قال ﷺ: وهـل تـرك لنا عقيل منـزلاً؟ قـال: وكان عقيل بن أبي طالـب قد باع منزل رسـول الله ﷺ ومنـازل إخوتـه مـن الرجـال والنسـاء بمكـة حـين هاجـروا، ومنـزل كلّ مـن هاجر من بني هاشـم. فقيـل لرسـول الله ﷺ: فأنـزل في بعـض بيـوت مكـة في غـير منزلـك، فأبـى رسـول الله ﷺ وقـال: «لا أدخـل البيـوت»، فلـم يـزل مضطرباً بالحجـون لم يدخـل بيتاً. وكان يـأتي المسـجد مـن الحجون...

وعن أسامة بن زيد أيضاً، قـال: قلت: يا رسول الله أين تنزل غداً في حجّته؟

قـال ﷺ: وهـل تـرك لنـا عقيـل منـزلاً، ثمّ قـال ﷺ: نحـن نازلـون غـداً إنْ شـاء الله بخيـف بنـي كنانـة يعني المحصـب...

وقـد حـدّث أبو رافـع قائـلاً: وكان عقيل قد بـاع منزل رسـول الله ﷺ ومنـزل إخوته مـن الرجـال والنسـاء بمكـة . فقيـل لرسـول الله ﷺ: فأنزل في بعـض بيوت مكـة في غير منازلـك؟ فأبـى رسـول الله ﷺ وقـال: لا أدخل البيـوت. فلم يـزل مضطربـاً بالحَجُون لم يدخـل بيتـاً، وكان يأتي إلى المسـجد مـن الحَجُون!

... عن إبراهيم الكرخي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: لأي علّة ترك عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما ولي الناس، فقال: للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة، وقد باع عقيل بن أبي طالب داره، فقيل له يا رسول الله، ألا ترجع إلى دارك؟ فقال صلى الله عليه وآله: «وهل ترك عقيل لنا داراً»؟! إنا أهل بيت لا نسترجع شيئاً، يؤخذ منا ظلماً. فلذلك لم يسترجع فدك لما ولّي!

وظاهر هذه الأخبار أنَّ عقيلاً استولى على هذين الدارين للنبيّ صلى الله عليه وآله دار ولادته صلى الله عليه وآله ودار سكنه صلى الله عليه وآله مع أُمّ المؤمنين خديجة عليها السلام، وبالتالي ينافي الخبر الأول من أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وهبه داره.

وعن الأزرقي:.. وسكت المهاجرون، فلم يتكلم أحد منهم في دار هجرها لله سبحانه، وسكت رسول الله صلى الله عليه وآله عن مسكنيه كليهما؛ مسكنه الذي ولد فيه، ومسكنه الذي ابتنى فيه بخديجة بنت خويلد عليها السلام، وولد فيه ولده جميعاً، وكان عقيل بن أبي طالب أخذ مسكنه الذي ولد فيه. وأما بيت خديجة عليها السلام فأخذه معتب بن أبي لهب، وكان أقرب الناس إليه جواراً، فباعه بعد من معاوية بمأة ألف درهم ...[1]

وتذكر بعض الأخبار أنَّ عقيلاً استولى على دور مَن هاجر من بني هاشم...

الغلول!

قد يمكننا وصفها بأنَّها ظاهرة وقعت في الساحة المسلمة وبالذات في المشاهد القتالية التي خاضها المسلمون ضدَّ خصومهم من المشركين، وسببها الوحيد هو

١ . تاريخ الطبري ١ : ٥٧١ ؛ أخبار مكة للأزرقي ٢ : ١٦١ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ؛ السيرة النبوية لابن هشام : فتح مكة ؛ كنز العمال للمتقي الهندي (ت٩٧٥هـ) ٢٢ : ٤٢٥ ؛ الجامع الكبير للطبراني (ت٣٦٠هـ) ١٠ : ٥٢١ رقم ٣٠١٩٢ ؛ المسند، الأنصار رقم : ٢٠٧٧١ ؛ علل الشرائع للشيخ الصدوق ١ : ١٥٥ رقم ٢ ؛ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٧ : ١١٨ ؛ وانظر مقالتنا: أُمُّ هانئ ، في العددين: ٥٦ـ٥٧.

حصـول الغنائـم مـن تلـك المشـاهد، وما انبثـق عنها مـن التنافـس بين الإخوة المسـلمين المقاتلـين فيهـا، والمسـارعة مـن قبلهـم في أخـذ مـا يرونـه مـن حـقٍّ لهـم، وقـد ظهـر من بعضهـم سـوء خلق حين وقع تشـكيكهم حتـى في رسـول الله ﷺ، ولخطورة هـذه التهمة ومـا تضمنتـه مـن الخيانة.

نزلـت: ﴿وَمَـا كَانَ لِنَـبِيٍّ أَن يَغُـلَّ وَمَن يَغْلُـلْ يَأْتِ بِمَـا غَلَّ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ ثُـمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْـسٍ مَّا كَسَـبَتْ وَهُـمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.[1]

وأردفهـا رسـول الله ﷺ بتحذيـرات، كـما روي عنـه، حـين كان إذا غنـم مغنـماً بعـث منادياً: «ألا لا يغلـن أحـدٌ مخيطاً فـما دونـه، ألا لا يغلن أحدٌ بعـيراً، فيأتي به عـلى ظهره له رغـاء، ألا لا يغلـن أحـدٌ فرسـاً، فيـأتي به يـوم القيامة عـلى ظهره لـه حمحمة!

«وإيّاكـم والغلـول، فـإنَّ الغلـول عـار ونـار وشـنار عـلى أهلـه في الدنيـا والآخـرة»، وهنـاك أحاديـث مثلهـا.

جـاء هذا تعظيـماً للغلول، وتشـدياً بالوعيـد عليه، وحرصـاً على متانة السـاحة المؤمنة وطهارتهـا، وإبعاداً للفرقـة، ورصًّا لصفوفها، وبنـاءً للنفوس المؤمنة، وترسـيخاً للورع في سـلوكها وحسـن الخلق، وحفظـاً للأمانة، وإبعـاداً للخيانـة، وتذكيراً بالآخرة وحسـابها، حـين يلقـى الإنسـان ربَّه عزَّ وجلَّ، ومـا أجمله من لقـاء إن كان بنفس نقيّة ويـد نظيفة ...!

وبالتـالي جـاءت هـذه الآيـة والروايـات؛ لينفـي سـياقُها عـن النبـيِّ ﷺ وبالتـالي عن جميـع الأنبيـاء والرسـل أي شـائبة مـن غلٍّ، فـلا يخونـون، ولا يأخذون شـيئاً مـن غنيمة، ولا يحتجـزون جـزءًا مـن مـال بغـير حـقٍّ، ولا يعطون لأنـاس ويمنعـون عـن آخرين...

نقـف قرآنيًّـا عند هذه السـلبية التي ظهرت في المجتمع المسـلم، وبالـذات بين المقاتلين بسـبب وجـود غنائـم الحرب التي تعـدُّ مصـدراً مالياً لهم يومذاك. وسـبباً عنـد كثير منهم للمشـاركة في الغـزوات ومشـاهد القتال، ونتعرّف عـلى آثارها والتـي أدّت إلى نزول الآية

١ . الآية ١٦١ من سورة آل عمران .

المذكـورة، وما تبعهـا من أحاديث ومواقـف نبويّة.

فالغلُـولُ: الخِيانَـةُ، يُقـال: غَـلَّ، يَغُـلُّ، غُلُـولاً، وإغلالاً أيْ: خـانَ، وكُلُّ مَـنْ خانَ في شَيْءٍ خُفْيـةً فَقَـدْ غَـلَّ. وأَصْلُـه مِن الغَـلِّ: وهو التَّخَلُّـلُ بين الـشَّيْء، يُقال: تَغَلْغَـلَ الماءُ في الشَّـجَرِ: إذا تَخَلَّلَهـا، ومنـه سُـمِّيَ المَـسْروقُ مِن الغَنِيمَـةِ غلـولاً؛ كأَنّ صاحِبَهُ قـد غَلَّهُ بين ثِيابِـهِ، وقِيـلَ: سُـمِّيَ غلُولاً؛ لأنّ الأَيْـدي فِيهِ مَغْلُولَـةٌ، أيْ: مُقَيَّدَةٌ بِالأَغْـلالِ... فغلَّ فلانٌ غلـولاً وإغـلالاً: خـان في المغنم وغـيره. بل الخيانـة في كلّ شيءٍ والسرقـة... أي أخذ المال مـن الغنيمـة في خفاء، أغـل الرجل إغـلالاً، خـان في الأمانة...

هذا لغةً، وأما قراءةً:

فقـد ذكر الشـيخ الطـوسي التالي: قـرأ كلٌّ مـن ابن كثير وابـن عمرو، وعاصـم (يغل) بفتـح اليـاء وضـمّ الغـين. الباقون بضـم اليـاء وفتح الغـين. فالذي قـرأ بفتح اليـاء وضمّ الغـين، فمعنـاه مـا كان لنبـيٍّ أن يخـون، يقال مـن الغنيمة غـلَّ يغـلُّ: إذا خان فيهـا. ومن الخيانـة أغـلَّ يغـل قال النمر بـن تولب: جـزى الله عنا جمزة ابنـة نوفل جزاءَ مغـلٍّ بالأمانة كاذب بـما سـألت عنـي الوشـاة ليكذبوا عـليَّ وقـد أوليتهـا في النوائب ويقـال من الخيانة غـلَّ يغلُّ.

ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين أراد: وما كان لنبيّ أن يخون أي ينسب إليه الخيانة.

ويحتمـل أن يكـون أراد مـا كان لنبـيّ أن يخـان بمعنـى يـسرق منـه. ويكـون تخصيص النبـيّ بذلـك تعظيـماً للذنب.

قـال أبوعـلي الفـارسي: لا يـكاد يقـال: مـا كان لزيـد أن يضرب، فهـذه حجّـة من قرأ بفتـح الياء.

نزولها:

وقد اختلف في وقت نزول الآية ١٦١ من سورة آل عمران: في بدر الكبرى:

نزلت في وقعة بدر الكبرى وغنائهما، وهي أول معركة للمسلمين ضدَّ مشركي مكة، وأول غنيمة يحصلون عليها بعد انتصارهم الكبير، فعن ابن عباس، وسعيد بن جبير في سبب نزولها: أنَّ قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم، فقال بعضهم: لعلَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله أخذها...

في وقعة أُحد: هناك رواية أنَّها نزلت حين ترك الرماة المركز يوم أُحد طلباً للغنيمة، وقالوا: نخشى أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن أخذ شيئاً فهو له، وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر. فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «ظننتم أنا نَغلُّ ولا نقسم لكم». فأنزل الله تعالى هذه الآية.

في حنين: وهناك رواية عن ابن عباس في رواية الضحاك: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما وقع في يده غنائم هوازن يوم حُنين غلَّه رجل بمخيط، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وهناك من يبتعد عن كلِّ هذه الوقائع؛ ليذكر ما روي عن ابن عباس: أنَّ أشراف الناس استدعوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخصصهم بشيءٍ من الغنائم؛ فنزلت هذه الآية...

ما أرى إبرتكِ إلّا قد ذهبت!

وبما أننا نترجم للصحابي عقيل بن أبي طالب، فقد ذكروا له موقفاً يُشاد به ويُثنى بسببه عليه، ففي الثالث عشر من شهر شوال في السنة الثامنة للهجرة النبوية الشريفة، وقعت معركة كبرى في وادي حنين الواقع بين مكة والطائف، دارت رحاها بين المسلمين من جهة وقبيلتي هوازن وثقيف من جهة أخرى، وقد ذكروا أنَّ عقيلاً كان مشاركاً مقاتلاً فيها، ومن الثابتين المدافعين عن رسول الله صلى الله عليه وآله حسب بعض الأخبار، وقد اختلفت الأخبار حين فرَّ المقاتلون المسلمون في عدد الثابتين الواقفين مع رسول الله صلى الله عليه وآله بين كونه صلى الله عليه وآله بقي وحيداً يُقاتل، وبين أنَّهم أربعة أو تسعة نفر، اثنا عشر نفراً،...

فعن حسين بن علي عليهما السلام قال: كان ممن ثبت مع النبيِّ يوم حنين: العباسُ،

وعـليٌّ عليه السلام، وأبـو سـفيان بـن الحـارث، وعقيـل بـن أبي طالـب ، وعبـد الله بـن الزبـير بن عبدالمطلـب، والزبـير بـن العـوام، وأسـامة بـن زيـد.

عـن المغـيرة بن الحـارث بـن نوفل بـن الحـارث، عـن أبيه ، عـن جـدّه نوفل: أنّـه كان يحـدث عـن يـوم حنـين، قـال: فـرَّ النـاس جميعـاً، وأعـروا رسـول الله صلى الله عليه وآله، فلم يبـق معه إلّا سـبعة نفـر من بنـي عبد المطلـب: العباس، وابنـه الفضـل ، وعليٌّ عليه السلام، وأخـوه عقيل، وأبوسـفيان، وربيعـة، ونوفـل بنـو الحـارث بـن عبـد المطلـب، ورسـول الله صلى الله عليه وآله مصلـت سـيفه في المجتلـد، وهـو عـلى بغلته الدلـدل، وهـو يقول:

أنـا النبـيُّ لا كـذب أنـا ابن عبـد المطلـب ...

ولـما وضعـت الحـرب أوزارهـا، وجمعـت الغنائـم، أخذ عقيـل إبرةً مـن الغنائـم قبل توزيعهـا يـوم حنين، ودخـل على امرأته فاطمة بنت شـيبة بـن ربيعة، وسـيفه متلطِّخ دماً، فقالـت: إني قـد عرفتُ أنَّـك قد قاتلتَ، فـماذا أصبتَ مـن غنائم المشركين؟ فقـال: دُونك هـذه الإبـرة تخيطين بهـا ثيابَك، فدفعهـا إليها.

فسـمع منـاديَ رسـول الله صلى الله عليه وآله يقـول: مَن أخذ شـيئاً فلـيردَّه؛ حتـى الخِيـاط والمِخيَط. فرجـع عقيـل، فقال: مـا أرى إبرتَـكِ إلّا قـد ذهبت، فأخذهـا، فألقاهـا في الغنائم!

وفي قـول: لمـا عـاد إلى سـاحة القتـال، ورأى النبـيَّ صلى الله عليه وآله قـد أخـذ يـوم حنين وبـرة من سـنام بعـير مـن الغنائـم، فجعلها بـين إصبعيه!

وسـمعه يقـول: «أيّهـا الناس إنَّـه لا يحلّ لي ممـا أفاء الله عليكـم قدر هـذه، إلّا الخمس، والخمـس مـردود عليكـم، فـأدّوا الخيـاط والمخيـط، وإيّاكـم والغلـول، فإنَّ الغلـول عار ونـار وشـنار على أهلـه في الدنيـا والآخرة»!

ولـما رأى النـاس ـ وعقيـل منهم ـ ذلك وسـمعوا هذا الزجر المتضمـن للوعيد من قبل الرسـول صلى الله عليه وآله، وأيضـاً سـمعوا منادي رسـول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَن أخذ شـيئاً فلـيردَّه، حتى الخِياط والمِخيَط»!

أخذهم الاشفاق والخوف الشديد على أنفسهم، ورغبتهم الأكيدة في تلبية أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فرجع عقيل إلى امرأته، فقال لها: ما أرى إبرتك إلّا قد ذهبت! فأخذها وألقاها في الغنائم؛ لتصيبها قسمة الغنائم، وهو دليل ورعه وزهده والتزامه بأوامر الرسول صلى الله عليه وآله ونواهيه![1]

موقفه من الإمام عليّ عليه السلام :

سجلت لنا بعض الأخبار مواقف طيبة، تدلّ على ودّه وحبّه لأخيه عليّ عليه السلام، بدءًا بما روي من قوله للإمام عليٍّ عليه السلام: «يا أخي ما فرحت بشيء كفرحتي بتزويجك فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، يا أخي فما بالك لا تسأل رسول الله صلى الله عليه وآله يدخلها عليك، فنقر عيناً باجتماع شملكما! قال عليٌّ عليه السلام: «والله يا أخي إني لأحبّ ذلك، وما يمنعني من مسألته إلّا الحياء منه»! فقال: أقسمت عليك إلّا قمت معي، فقمنا نريد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلقينا في طريقنا أمَّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فذكرنا ذلك لها، فقالت: لا تفعل و دعنا نحن نكلمه فإنَّ كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال ...

حدث هذا من عقيل، بعد أن أعدَّ الإمام عدّة الزواج ومكث ينتظر شهراً، كما يقول الإمام: «... ومكثتُ بعد ذلك شهراً، لا أعاود رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر فاطمة بشيء استحياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أني كنتُ إذا خلوتُ برسول الله صلى الله عليه وآله، يقول لي: «يا أبا الحسن ما أحسن زوجتك وأجملها، أبشر يا أبا الحسن فقد زوجتك سيدة نساء العالمين»!

قال عليٌّ عليه السلام: «فلما كان بعد شهر دخل عليَّ أخي عقيل بن أبي طالب، فقال: ومروراً

١ . انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤ : ١٣٥ . البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٣٥٣ . كتاب المغازي للواقدي ٣ : ٩١٨ ؛ وقعة حنين ، الإصابة لابن حجر ٤ : ٤٣٨ رقم : ٥٦٣٢ ، ٤٥٦٤ ، أُسد الغابة لابن الأثير ٤ : ٦١ رقم ٣٧٣٣ . الأمالي للشيخ الطوسي : ٥٧٤-٥٧٥ .
تفسير التبيان للشيخ الطوسي ، جامع البيان في تفسير القرآن للطبري وغيرها : الآية .

بحضوره زواجه من سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد ذكر ابن شهرآشوب: كتاب مولد فاطمة، عن ابن بابويه في خبر: أمر النبيُّ صلى الله عليه وآله بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن يرجزن ويكبرن ويحمدن، ولا يقولن ما لا يرضى الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته، وفي رواية: على بغلته الشهباء، وأخذ سلمان زمامها، وحولها سبعون حوراء، والنبيّ صلى الله عليه وآله وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت عليهم السلام يمشون خلفها مشهرين سيوفهم، ونساء النبيّ صلى الله عليه وآله قدامها يرجزن.

فأنشأت أمّ سلمة:

سرن بعون الله جاراتي واشكرنه في كلّ حالات

وإذ كرن ما أنعم ربّ العلى من كشف مكروه وآفات

هدانا بعد كفر وقد أنعشنا ربّ السماوات

وسرن مع خير نساء الورى تفدى بعمات وخالات

يا بنت من فضله ذو العلى بالوحي منه والرسالات.

ثم قالت عائشة:

يا نسوة استرن بالمعاجر واذكرن ما يحسن في المحاضر

واذكرن ربّ الناس إذ خصنا بدينه مع كلّ عبد شاكر

فالحمد لله على أفضاله والشكر لله العزيز القادر

سرن بها فالله أعطى ذكرها وخصّها منه بطهر طاهر.

ثم قالت حفصة :

فاطمة خير نساء البشر ومن لها وجه كوجه القمر

فضلك الله على كلّ الورى بفضل من خصّ بآي الزمر

زوجك الله فتًى فاضلاً أعني عليًّا خير من في الحضر

فسرن جاراتي بها إنّها كريمة بنت عظيم الخطر .

ثم قالت معاذة أمّ سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيه وأذكر الخير وأبديه

محمد خير بني آدم ما فيه من كبر ولاتيه

بفضله عرفنا رشدنا فالله بالخير مجازيه

ونحن مع بنت نبي الهدى ذي شرف قد مكنت فيه

في ذروة شامخة أصلها فما أرى شيئاً يدانيه .

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كلّ رجز، ثم يكبرن ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عليٍّ عليه السلام ودعاه إلى المسجد، ثم دعا فاطمة عليها السلام فأخذ يديها ووضعها في يده، وقال: بارك الله في ابنة رسول الله ...!

أقول: كان ذلك الزواج المبارك في اليوم الأول من شهر ذي الحجّة من العام الثاني للهجرة النبوية الشريفة، ففي الكافي عن الإمام السجاد عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله وبعد هجرته إلى المدينة بسنة، زوّج السيدة فاطمة عليها السلام من الإمام عليٍّ عليه السلام.

الطبري نقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام: أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام تزوّج السيدة فاطمة عليها السلام في السنة الثانية للهجرة، وقبل أن ينتهي شهر صفر بعدّة أيام.

وفي خبرٍ آخر ذكره الطبري في تاريخه، قال: زُفّت السيدة فاطمة عليها السلام إلى عليٍّ عليه السلام بعد غزوة بدر.

ومن المعلوم أنَّ وقعة بدر الكبرى كانت في السابع عشر من شهر رمضان في العام الثاني للهجرة النبوية الشريفة.

وبالتالي هنا ملاحظات منها أنَّ جعفراً رضوان الله عليه كان في الحبشة مهاجراً، ولم

يعد إلّا في فتح خيبر في العام السابع، ووقتها نسب إلى الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ما أدري بأيهما أنا أسر؛ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر»؟!

ولم أجد من يذكر أنَّ جعفراً عاد إلى المدينة من هجرته للحبشة قبل هذا التاريخ؛ **هذا أولاً**.

وأما ثانياً: فإنَّ عقيلاً كان يومذاك في مكة المكرمة، ولم يدخل المدينة إلّا أسيراً في وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان من العام الثاني من الهجرة النبوية، اللهم إلّا أن نأخذ بروايتي الطبري المذكورتين أعلاه:.. أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام تزوّج السيدة فاطمة عليها السلام في السنة الثانية للهجرة، وقبل أن ينتهي شهر صفر بعدّة أيام.

أو: زُفّت السيدة فاطمة عليها السلام إلى عليٍّ عليه السلام بعد غزوة بدر في السابع عشر من شهر رمضان في العام الثاني من الهجرة النبوية المباركة.

والسيدة أُمّ سلمة تزوجها النبيُّ صلى الله عليه وآله بعد وقعت أُحد في شوال سنة ٣ هجرية، والتي جُرح فيها زوجها أبو سلمة المخزومي، ثمَّ استشهد إثر جُرحه هذا، وإما أنَّه خرج بعدها في سرية، ولما عاد منها في جمادى الآخرة من السنة الرابعة للهجرة انتقض عليه جرحه ومات. وبالتالي يكون زواجه صلى الله عليه وآله منها على أقل تقدير في أوائل السنة الرابعة.

والقول نفسه في زواجه صلى الله عليه وآله من حفصة بنت عمر، فإنَّ زوجها خنيس بن حذافة السهمي هو الآخر استشهد بعد إصابته في أحد ٧ شوال ٣ هجرية وقيل: بعد غزوة بدر...[1]

---

١ . انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣ : ١٣٠ـ١٣١ عن كتاب مولد فاطمة عن ابن بابويه ؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٤٣ : ١١٥ـ١١٦ ـ ١٩٣ ؛ الكافي للشيخ الكليني، الروضة ٢ : ١٨٠ـ ١٨١ ؛ تاريخ الطبري ٢ : ٤١٠ ، و ١١ : ٥٩٨ ؛ طبقات ابن سعد، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ؛ الإصابة في تمييز الصحابة، عبد الله بن عبد الأسد، خنيس بن حذافة ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي، أبو سلمة ؛ البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٠٤.

وبالتالي لم يكنَّ من نسائه صلى الله عليه وآله وقت زواج وزفاف السيدة المطهرة الزهراء عليها السلام من الإمام عليٍّ عليه السلام.

فهذه الأخبار تنقصها الدقّة والتحقيق كما يبدو لي.

وحضر وفاة الصديقة الطاهرة سلام الله عليها

هذا وكان عقيل واحداً ممن حضر وفاتها سلام الله عليها، وشارك في الصلاة عليها كما في الخبر:.. وصلّى عليها أمير المؤمنين، والحسن والحسين عليهم السلام، وعمار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وأبوذر، وسلمان، وبريدة، ونفر من بني هاشم في جوف الليل، ودفنها أمير المؤمنين عليه السلام سرًّا بوصية منها في ذلك!

ويقال: إنَّ عقيلاً هو الذي اختار أُمَّ البنين رضوان الله عليها زوجةً للإمام عليٍّ عليه السلام؛ لتكون أول امرأة يتزوّجها عليه السلام، بعد وفاة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولكنه عليه السلام في قولٍ قد تزوّج، بعد وفاة الصديقة الطاهرة عليها السلام، أمامة بنت أبي العاص؛ وهو ابن أخت أُمّ المؤمنين خديجة عليها السلام. وأُمّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفي قولٍ: زينب هذه كانت ربيبة المصطفى صلى الله عليه وآله والعرب يزعمون أنّ الربيبة بنت ...؛ لوصيةٍ نُسبت للزهراء عليها السلام حين قالت للإمام علي عليه السلام: «يا بن عمّ رسول الله، أُوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإنّ الرجال لابدّ لهم من النساء ...».[1]

وبالتالي فأُمامة تُعدُّ الزوجة الأولى للإمام علي عليه السلام بعد سيدة النساء عليها السلام، وقبل زواجه من أُمّ البنين، التي أنجبت له أربعة، شاركوا في واقعة كربلاء يوم عاشوراء، و استشهدوا جميعاً مع أخيهم الإمام الحسين عليه السلام، وهم العباس وعبدالله وعثمان وجعفر

١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي ١٨: ١٣٨؛ وانظر أُسد الغابة ٧: ٢٠، ٦٧٢٤؛ الإصابة ٨: ٢٥، ١٠٨٢٨.

سـلام الله عليهم.

وكان أبرزهـم العبـاس عليه السلام، وهو المقصود بالخبر التـالي: «فتلد لي غلاماً فارسـاً المولود في اليوم الرابع من شـهر شـعبان من العـام (٢٦هـ).

و إن صـحَّ التاريـخ المذكـور لـولادة أبي الفضـل العبـاس عليه السلام، فيعنـي أنَّ وقـت زواج الإمـام عـلي عليه السلام من السـيدة أُمّ البنـين إلى ما يقرب من العـام المذكور، أي بعد رحلة سـيدة نسـاء العالمـين فاطمـة الزهراء عليها السلام بأكثـر من أربعة عـشر عامـاً. وبالتالي فإنَّ طلـب الإمام عـلي عليه السلام، إن صـحَّ، مـن أخيه عقيـل قد تأخـر طويلاً...

وطلـب الإمـام عليه السلام ذكـره ابـن عنبـة المتـوفى (٨٢٨هــ) ولم يذكر سـنداً ولا مصـدراً، وكأنَّـه تفـرّد بـما ذكـره في المقطـع الأول قائـلاً: وقـد روى أنَّ أمـير المؤمنـين عليًّـا عليه السلام قال لأخيـه عقيل ـ وكان نسـابة عالماً بأنسـاب العـرب وأخبارهم ـ : «أُنظر إلى امـرأة قد ولدتها الفحولـة مـن العـرب؛ لأتزوّجها، فتلـد لي غلاماً فارسـاً».

مضيفـاً عليـه: ولـما كان يـوم الطـف، قـال شـمر بـن ذي الجوشـن الـكلابي للعبـاس واخوتـه: أيـن بنـو أختـي؟ فلـم يجيبوه.

فقال الحسين عليه السلام لإخوته: أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنّه بعض أخوالكم.

فقالوا له: ما تريد؟

قال: اخرجوا إليَّ فانّكم آمنون، ولا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم.

فسـبّوه وقالـوا لـه: قبحـت وقبـح مـا جئـت بـه، أنـترك سـيّدنا وأخانـا ونخـرج الى أمانـك؟ وقتـل هـو وإخوتـه الثلاثـة في ذلـك اليـوم.

ولكنـي وجدتُ الشـيخ أبـا نصر البخاري مـن أعلام القـرن الرابع الهجـري (والمتوفى ٣٩٨ أو ٣٤١ هــ) في كتابـه سرّ السلسـلة العلويـة يقـول: قال أمير المؤمنـين عليه السلام لعقيل بن أبي طالـب ـ وهـو أعلـم قريـش بالنسـب ـ أطلـب لي امرأة ولدتها شـجعان العـرب حتى تلـد لي ولـداً شـجاعاً، فوقـع الاختيار عـلى أمّ البنـين الكلابيـة، وولدت العبـاس بن علي

وأخوتـه. ولم يذكـر هـو الآخر مصـدراً لهذا.

وفي التعريـف بالكتـاب المذكـور يقـول السـيد محمـد صـادق بحـر العلـوم:.. فـانَّ صاحـب (عمـدة الطالـب) كثـيراً مـا ينقـل عـن (سرّ السلسـلة العلويـة).

ولعـلّ ابـن عنبـة اكتفـى بنقـل هـذا الخـبر مـن السلسـلة العلوية الـذي هـو الآخر لا أدري مـن أيـن جـاء به؟[1]

وداع أبي ذرٍّ الغفاري!

صـدر قـرار الخليفة الثالـث عثمان بإبعـاد الصحابي الجليـل صاحب أصـدق لهجة ... كـما روي عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله أنَّـه قـال: «مـا أظلّـت الخـضراء، ولا أقلّت الغـبراء من ذي لهجـةٍ أصـدقَ مـن أبي ذر»! عـن المدينة المنـوّرة إلى حيث الربـذة؛ ليموت وحـده كما بشّره بذلـك حبيبُه رسـولُ الله صلى الله عليه وآله!

فـكان عقيـل ضمن أُولئـك المودّعـين للصحـابي الجليـل أبي ذرٍّ؛ قائلاً له قولاً سـديداً لا يخلـو مـن حكمـة ورشـاد، في وقت منعت سـلطة الخلافـة أن يُكلمـه أحدٌ وأن يُشـيعه وحتى حظـرت على النـاس أن يُقاعـدوه...

ففـي خـبرٍ ذكـره ابـن أبي الحديد عـن عكرمة عـن ابن عبـاس، قال: لمـا أُخـرج أبو ذرّ إلى الربـذة، أمـر عثمان، فنودي في النـاس ألّا يُكلم أحـدٌ أبا ذر ولايشـيّعه. وأمر مروان بن الحكـم أن يخـرج بـه. فخرج بـه، وتحامـاه الناس إلّا عـليّ بـن أبي طالب عليه السلام وعقيـلاً أخاه وحسـناً وحسـيناً عليهما السلام، وعـماراً، فإنهـم خرجـوا معـه يشـيّعونه، فجعل الحسـن عليه السلام يكلم أبـاذر، فقـال لـه مـروان: إيهاً يـا حسـن! ألا تعلـم أنَّ أمير المؤمنـين قد نهى عـن كلام هذا

---

١ . عمدة الطالب في أنسـاب آل أبي طالب لابن عنبة (ت ٨٢٨ هجرية) ؛ سرّ السلسـلة العلوية للشـيخ أبي نـصر البخـاري : ٨٨ ؛ التعريـف بكتاب سرّ السلسـلة العلوية للسـيد محمد صادق بحـر العلوم: ٣٥٧ .

الرجل؟! فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك، فحمل عليّ عليه السلام على مروان، فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال عليه السلام: «تنحَّ لحاك الله إلى النار»!

فرجع مروان مغضباً إلى عثمان: فأخبره الخبر، فتلظّى على عليّ عليه السلام.

ووقف أبو ذر فودعه القوم، ومعه ذكوان مولى أمّ هانئ بنت أبي طالب. قال ذكوان: فحفظت كلام القوم ـ وكان حافظاً ـ فقال عليٌّ عليه السلام: «يا أبا ذر، إنّك غضبت لله! إنَّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك. فامتحنوك بالقلى، ونفوك إلى الفلا، والله لو كانت السماوات والأرض على عبدٍ رَتقا، ثمَّ اتقى الله؛ لجعل له منها مخرجاً. يا أبا ذر لا يؤنسنك إلّا الحقّ، ولا يوحشنّك إلّا الباطل».

ثم قال لأصحابه: «ودعوا عمَّكم، وقال لعقيل: ودع أخاك»! فتكلم عقيل، فقال: ما عسى أن نقول يا أبا ذر، وأنت تعلم أنا نحبّك، وأنت تحبّنا فاتق الله، فإنَّ التقوى نجاة، واصبر فإنَّ الصبر كرم، وأعلم أنَّ استثقالك الصبر من الجزع، واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع!

ثمَّ تكلّم الحسن عليه السلام... ثمَّ تكلّم الحسين عليه السلام... ثمَّ تكلّم عمّار رحمه الله مغضباً...

فبكى أبو ذر رحمه الله، وكان شيخاً كبيراً، وقال: «رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة! إذا رأيتُكم ذكرتُ بكم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ما لي بالمدنية سكنٌ ولا شجنٌ غيركم، إني ثَقُلتُ على عثمان بالحجاز، كما ثَقُلتُ على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابنَ خاله بالمصرين، فأُفسِد الناس عليهما، فسيّرني إلى بلدٍ ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، والله ما أريد إلّا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشةً»!

ورجع القوم إلى المدينة، ... وبفلاة من الأرض رحل أبو ذرٍّ إلى ربّه وحيداً؛ تظلّله كلمةٌ مباركةٌ قالها له رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله أبا ذرٍّ يُحشر وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده»!

وسمعها مَن حوله، وذلك حين رآه، وقد أبطأ بعيره في غزوة تبوك، فحمل متاعه

على ظهره، وتبع أثر الرسول صلى الله عليه وآله ماشياً حتى لحق به.

ويبدو أنَّ أبا ذرٍّ ظلَّ يحمل متاعه الحقيقي وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طيلة مسيرته في الإسلام، حتى حظي بثمار صدقه، أن حلَّ ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾.[1]

رسالة عقيل للإمام عليه السلام، البلاذري عن عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد أنّ عقيلاً كتب إلى أخيه عليّ عليه السلام: «أمّا بعد كان الله جارك من كلّ سوء، وعاصمك من المكروه على كلّ حال، إنّي خرجت ــ يا بن أمّ ــ معتمراً، ولقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فقلت لهم ــ وعرفت المنكر ــ: أين تريدون يا بني الطلقاء؟ أبمعاوية تلحقون عداوة لنا غير مستنكرة منكم، تحاولون تغيير أمر الله وإطفاء نور الحق! فأسمعوني وأسمعتهم، ثمّ إنّي قدمت مكة وأهلها يتحدّثون بأنّ الضحاك بن قيس أغار على الحيرة وما يليها، فأف لدهر جرأ علينا الضحاك، وما الضحاك إلّا فقع بقرقر، فاكتب إليّ يا بن أمّ برأيك وأمرك، فإنْ كنت الموت تريد، تحمّلت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا مت.

فكتب إليه الإمام عليّ عليه السلام: «أنّ ابن أبي سرح وغيره من قريش قد اجتمعوا على حرب أخيك اليوم كاجتماعهم على حرب ابن عمّك قبل اليوم، وإنَّ الضحاك أقلَّ وأذلَّ من أن يقرب الحيرة، ولكنه أغار على ما بين القطقطانية والثعلبية».

أمّا الثقفي فقد أورد الرواية نفسها التي وردت عند البلاذري مع شيء بسيط من الاختلاف، منها: بدلاً من أبناء الطلقاء ذكر أبناء الشائنين، وأضاف على قصّة إغارة الضحاك قوله: «فاحتمل من أموالهم ما شاء ثمّ انكفأ راجعاً سالماً... ثم قال: وقد

١ . سورة القمر: ٥٥؛ انظر شرح نهج البلاغة ٨: ٢٥٢ ـ ٢٥٤؛ كتاب السقيفة لعبد العزيز الجوهري؛ وانظر مقالة أبو ذر الغفاري وحده في العدد ١٣ من هذه المجلة.

توهّمت حين بلغني ذلك أنّ شيعتنا وأنصارك خذلوك، فاكتب إليّ يا بن أمّ برأيك... فوالله ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواقاً، وأقسم بالأعزّ الأجلّ إنّ عيشاً نعيشه بعدك في الحياة لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وعن الدينوري: خروج علي عليه السلام من المدينة... فلما كان في بعض الطريق، أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبي طالب، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد يا أخي، كلاك الله، والله جائرك من كلّ سوء، وعاصمك من كلّ مكروه على كلّ حال، وإني خرجت معتمراً، فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما، وهم متوجهون إلى البصرة، قد أظهروا الخلاف، ونكثوا البيعة، وركبوا عليك قتل عثمان، وتبعهم على ذلك كثير من الناس، من طعناتهم وأوباشهم، ثم مرّ عبد الله بن أبي سرح، ...

وردّ عليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب: سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا ألـه إلّا هو، أمّا بعد كلأنا الله وإيّاك كلاءة من يخشاه بالغيب إنّه حميد مجيد، فقد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي، تذكر فيه أنّك لقيت عبد الله بن سعيد بن أبي سرح مقبلاً من قديد في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء متوجّهين إلى المغرب، وأنّ ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه، وصد عن سبيله وبغا عوجاً، فدع ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً، وخلّهم وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، إلّا وإنّ العرب قد اجتمعت على حرب أخيك اليوم اجتماعها على حرب النبيّ صلى الله عليه وآله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه وجحدوا فضله، وبادروه العداوة ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كلّ الجهد، وجرّوا عليه جيش الأحزاب، اللّهمّ فأجز قريشاً عنّي الجوازي فقد قطعت رحمي، وتظاهرت عليَّ، ودفعتني عن حقّي، وسلبتني سلطان ابن أمّي، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول صلى الله عليه وآله وسابقتي في الإسلام، إلّا أن يدّعى مدّع ما لا أعرفه ولا أظن الله يعرفه، والحمد لله على كلّ حال.

وأمّا ما ذكرت من غارة الضحّاك على أهل الحيرة فهو أقلّ وأذلّ من أن يلمّ بها أو يدنو منها ولكنه قد كان أقبل في جريدة خيل فأخذ على السماوة حتّى مرّ بواقصة وشراف والقطقطانية فما والى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك فرّ هارباً، فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب، فتناوشوا القتال قليلاً كلّا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفية وولّى هارباً، وقتل من أصحابه تسعة عشر رجلاً، ونجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق ولم يبق منه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا.

والله ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه فإنّ رأيي جهاد المحلّين حتّى ألقى الله، لايزيدني كثرة الناس معي عزّة، ولا تفريقهم عنّي وحشة ؛ لأنّي محقّ والله مع الحقّ، والله ما أكره الموت على الحقّ، وما الخير كلّه بعد الموت إلّا لمن كان محقّاً.

وأمّا ما عرضت عليّ من مسيرك إليّ ببنيك وبني أبيك فلا حاجة لي في ذلك، فأقم راشداً محموداً فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إنْ هلكت، ولا تحسبن أنّ ابن أمّك ـ ولو سلّمه الناس ـ متخشّعاً ولا متضرّعاً ولا مقراً للضيم واهناً ولا سلس الزمام للقائد ولا وطئ الظهر للراكب المقتعد، إنّي لكما كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنت فإنّني صبور على ريب الزمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب».

وقد ورد الكتاب في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «ومن كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء»، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل فسرحت إليه جيشاً كثيفاً من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك شمّر هارباً ونكص نادماً، فلحقوه ببعض الطريق، وقد طفلت الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئاً كلا ولا، فما كان إلّا كموقف ساعة حتى نجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق ولم يبق منه غير الرمق فلأيا بلأي ما نجا.

فـدع عنـك قريشـاً وتركاضهم في الضـلال، وتجوالهم في الشـقاق، وجماحهـم في التيه، فإنّهـم قـد أجمعوا عـلى حـربي كإجماعهم عـلى حرب رسـول الله صلى الله عليه وآله قبـلي، فجزت قريشـاً عنّـي الجـوازي، فقـد قطعوا رحمي، وسـلبوني سـلطان ابـن أمّي.

وأمّـا مـا سـألت عنـه مِن رأيـي في القتال، فـإنّ رأيـي قتالُ المحلّـين حتى ألقـى الله، لا يزيـدني كثـرة النـاس حـولي عـزّةً، ولا تفرقهم عنّي وحشـةً، ولا تحسـبن ابن أبيـك ـ ولو أسـلمه النـاس ـ متضرّعـاً متخشّـعاً، ولا مقـرًّا للضيـم واهناً، ولا سـلس الزمـام للقائد، ولا وطئ الظهـر للراكـب المقتعـد، ولكنَّـه كما قـال أخو بنى سـليم:

فـإن تسـأليني كيـف أنـتَ فإنَّنـي صبـورٌ عـلى ريـب الزمـان صليـبُ
يعـزُّ عـليَّ أن تُـرى بي كآبـةٌ فيَشـمت عـادٍ أو يُسـاء حبيـبُ.[1]

أتئن من الأذى ولا أئن من لظى؟!

حفظـاً لبيـت مـال المسـلمين، وتجذيـراً لمبـدإ الإنصـاف بينهـم، وبعيـداً عـن تضييـع حقوقهـم، ومنعـاً للتبذيـر والتجـاوزات، وإبعـاداً لطمـع القريـب وتسـلط العشـيرة،... رسـم الإمـام عـليّ عليه السلام منهجـه في العـدل والإحسـان بـين عبـاد الله تعـالى.

ومـن مصاديـق هـذا موقفـه من أخيـه عقيل بـن أبي طالـب الـذي لطالما سـأله عطاءً، وذلـك حـين جاءه يومـاً يطلب منه أكثر مـن حقّه، قـال عليه السلام: «والله لأن أبيتُ على حسـك السـعدان مسـهداً، أو أجـرّ في الأغـلال مصفّدًا، أحـبُّ إليَّ مـن أن ألقى الله ورسـوله يوم القيامـة ظالمـاً لبعـض العباد، وغاصبـاً لشيء من الحطـام، وكيف أظلم أحـداً لنفس يسرع إلى البـلى قفولهـا، ويطـول في الثـرى حلولهـا، والله لقـد رأيـتُ عقيـلاً وقـد أملـق، حتـى

١ . أنسـاب الأشراف للبـلاذري: ٧٤؛ شرح نهـج البلاغة لابن أبي الحديـد ١٦: ١٤٨ رقم٣٦، ٣: ٦٠؛ الغـارات للثقفـي ٢: ٤٢٩، ٤٣١؛ الإمامـة والسياسـة لابـن قتيبة الدينـوري ١: ٧٤ـ٧٦؛ كتاب عقيـل وجواب الإمـام عليه السلام، مع اختلافات يسـيرة في الكتب.

استماحني من برّكم صاعاً، ورأيتُ صبيانه شعثَ الشعور غُبرَ الألوان من فقرهم، كأنما سُوِّدت وجوههم بالعِظْلم، وعاودني مؤكداً وكرّر عليَّ القول مردداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنَّ أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقتي، فأحميتُ له حديدةً، ثمَّ أدنيتُها من جسمه؛ ليعتبر بها، فضجَّ ضجيجَ ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها! فقلتُ له: ثكلتك الثواكلُ يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانُها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارُها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى...!

حدثنا محمد، عن ... عن جعفر بن علي بن الحسين عليهم السلام، قال: روى الثقفي، قال: قدم عقيل على عليٍّ عليه السلام، وهو جالس في صحن مسجد الكوفة، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. قال: وعليك السلام يا أبا يزيد، ثم التفت إلى الحسن بن علي عليهما السلام، فقال: قم وأنزل عمَّك، فذهب به فأنزله وعاد إليه.

فقال له: اشتر له قميصاً جديداً، ورداءً جديداً، وإزاراً جديداً، ونعلاً جديداً.

فغدا على عليٍّ عليه السلام في الثياب، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

قال عليه السلام: وعليك السلام يا أبا يزيد.

قال: يا أمير المؤمنين، ما أراك أصبتَ من الدنيا شيئًا إلّا هذه الحصباء؟!

قال عليه السلام: يا أبا يزيد، يخرج عطائي فأعطيكاه!

قال حميد بن هلال: أتى عقيل عليًّا عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، إني محتاج وإني فقير فأعطني. قال: اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم.

فألحَّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده، فانطلق به إلى حوانيت أهل السوق، فقل: دقّ هذه الأقفال، وخذ ما في هذه الحوانيت. فقال: يا أمير المؤمنين، أردت أن تتخذني سارقًا! قال: أنت ـ والله ـ أردت أن تتخذني سارقًا، أن آخذ أموال الناس فأعطيكها دونهم.

قال: لآتينَّ معاوية. قال: أنت وذاك!...

وعـن عبدالصمـد، عن جعفـر بن محمدعليهما السلام قـال: قلت: يـا أبا عبـدالله حدثنا حديث عقيـل، قـال: نعـم، جـاء عقيل إليكـم بالكوفـة وكان عليعليه السلام جالسـاً في صحن المسـجد وعليـه قميـص سـنبلاني قـال: فسـأله، قـال: أكتب لـك إلى ينبـع، قـال: ليس غـير هذا؟ قـال: لا، فبينـما هـو كذلك إذ أقبل الحسـينعليه السلام (الحسـن بـن عليّعليه السلام).

فقال: اشتر لعمّك ثوبين، فاشترى له.

قال: يا ابن أخي ما هذا؟

قال: هذه كسوة أمير المؤمنينعليه السلام.

ثـم أقبـل حتى انتهـى إلى عـليّعليه السلام، فجلس فجعـل يضرب يـده على الثوبـين، وجعل يقـول: مـا ألين هـذا الثـوب يا أبـا يزيد!

قـال: يـا حسـن أخـد عمّك قـال: قـال: مـا أملـك صفـراء ولا بيضـاء، قـال: فمر له ببعـض ثيابـك، قـال: فكسـاه بعض ثيابـه، قال: ثم قـال: يا محمـد أخد عمك، قـال: والله مـا أملك درهمـاً ولا دينـاراً، قال: اكسـه بعـض ثيابك.

قال عقيل: يا أمير المؤمنين، ائذن لي إلى معاوية؟

قال: في حلّ محلل!

إلى حيث معاوية!

ليَسـمَعَ معاويـةُ عقيـلاً يُعلنهـا صريحـةً قويّةً في ميدان سـلطته؛ سـلطة بنـي أُميّة، حين يُجيبـه عن سـؤاله: كيف تركـتَ عليًّـا وأصحابَه؟

قال عقيل: كأنَّهم أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله يوم بدر، إلّا أنّي لم أرَ رسول اللهصلى الله عليه وآله فيهم!

وكأنَّك وأصحابك أبو سفيان يوم أُحد، إلّا أنّي لم أرَ أبا سفيان معكم!

فليـس عقيـل التقى بمعاوية طلباً للرفـد وطمعاً بالمال بمعنى أنَّه كان في أزمة معيشـية، يعـاني منهـا كما ذكـروا، ولكنـي أرى أنَّـه برحلته هـذه إضافـةً إلى أنَّه أخـذ ما يـراه حقًّا له

مـن المـال، أظهـر لا فقط الدنس في نسـب معاوية، بل والخسّـة في سـيرته وسـيرة من تبعه من أصحابـه وجنده!

فـإن صحّـت أخبار الـرواة أنَّ عقيلاً أفي حياة الإمـام عليٍّ عليه السلام ، بعد أن اسـتأذن منه، أو بعـد رحلـة الإمـام عليه السلام إلى الملكوت الأعلى على الاختـلاف في هذا، ارتحل إلى الشـام حيث معاويـة بـن أبي سـفيان، وهـذا هو ما أشـار إليه ابـنُ أبي الحديـد في قوله: واختلـف الناس في عقيـل؛ هـل التحق بمعاويـة وأمير المؤمنين حيٌّ؟ فقـال قوم: نعـم ... ورووا أنَّ معاوية قـال يومـاً وعقيـل عنده هذا أبـو زيد لولا علمـه فقال: إني خير لـه من أخيه لمـا أقام عندنا وتركـه. فقـال عقيـل: أخي خـير لي في دينـي وأنت خـير لي في دنيـاي، وقد آثـرت دنياي، أسـأل الله خاتمة خير!

وقـال قـوم: إنـه لم يعـد إلى معاويـة إلّا بعد وفاة أمـير المؤمنـين عليه السلام، واسـتدلوا عـلى ذلـك بالكتـاب الذي كتبـه إليه في آخـر خلافته، والجـواب الذي أجابـه عليه السلام... ويختم هذا بقولـه: وهـذا القول هـو الأظهـر عندي.

وأمـا الكتـاب فهـو رقـم ٣٦ في الجـزء ١٦ : ١٤٨ مـن الـشرح المذكـور. وعنوانه: من كلام لـه عليه السلام إلى أخيـه عقيـل بـن أبي طالـب، وهـو جـواب كتـاب إليـه كتبـه عقيـل: فَسَرَّحْـتُ إِلَيْـهِ جَيْشـاً كَثِيفاً مِـنَ الْـمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَـهُ ذَلِكَ شَـمَّرَ هَارِباً وَ نَكَـصَ نَادِماً، فَلَحِقُـوهُ بِبَعْـضِ الطَّرِيـقِ... و هـو الضحّاك بـن قيس... فيـما يفهم من ابن قتيبـة (المتوفى سـنة ٢٧٦ هـ) في كتابـه الإمامـة والسياسـة ـ إن صحّت نسـبته إليـه ـ أنَّ عقيـلاً خرج إلى معاويـة في حيـاة أخيـه الإمـام عليٍّ عليه السلام.

وأيضاً يقول التستري: و في كتاب عقيل إليه (أي إلى الإمام عليه السلام):

«فـافّ لحيـاة في دهر جـرؤ عليك الضحّـاك، و ما الضحّـاك إلّا فقع بقرقـر» أي: كمأة رخـوة في قـاع أملس تطأهـا كلّ دابة».

وهـو جـواب كتاب كتبـه إليه أخـوه عقيل. المفهـوم من ابن قتيبـة أنّ عقيـلاً كتب إليه

في أوّل خلافته كتاباً، فأجابه بما في العنوان.

وأما كتاب أو رسالة عقيل للإمام عليه السلام.

فعن البلاذري عن عبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف عن سليمان بن أبي راشد أنّ عقيلاً كتب إلى أخيه عليّ عليه السلام: أمّا بعد كان الله جارك من كلّ سوء، وعاصمك من المكروه على كلّ حال، إنّي خرجت ــ يا بن أمّ ــ معتمراً، ولقيت عبدالله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء، فقلت لهم ــ وعرفت المنكر ــ: أين تريدون يا بني الطلقاء؟ أبمعاوية تلحقون عداوة لنا غير مستنكرة منكم، تحاولون تغيير أمر الله وإطفاء نور الحق!! فأسمعوني وأسمعتهم، ثمّ إنّي قدمت مكة وأهلها يتحدّثون بأنّ الضحاك بن قيس أغار على الحيرة وما يليها، فأف لدهر جرأ علينا الضحاك، وما الضحاك إلّا فقع بقرقر، فاكتب إليّ يا بن أمّ برأيك وأمرك، فإنْ كنت الموت تريد، تحمّلت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك إذا مت.

فكتب إليه الإمام عليّ عليه السلام: «أنّ ابن أبي سرح وغيره من قريش قد اجتمعوا على حرب أخيك اليوم كاجتماعهم على حرب ابن عمّك قبل اليوم، وإنَّ الضحاك أقلّ وأذلّ من أن يقرب الحيرة، ولكنه أغار على ما بين القطقطانية والثعلبية».[1]

إنَّ أهم ما في هذه الرحلة إلى معاوية، هي تلك اللقاآت والحوارات التي تخللتها، وإجابات عقيل عمّا يسأل عنه معاوية، وردوده على كلّ ما طرحه معاوية إن ساخراً أو مستفهماً. وبلا شك أنَّها جميعاً تركت دروساً وعبراً ومواعظ: لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ. فضلاً عمّا كشفته من حقيقة بني أُميّة ومعاوية ومَن تبعه،

---

١ . مختصر تاريخ دمشق لابن منظور١٧: ١١٤ـ١٢٢، رقم ٣٦، وغيره؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١١: ٢٥١؛ الإمامة والسياسة١: ١٠١ـ١٠٢؛ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري١٠؛ أنساب الأشراف: ٧٤.

وخصومتهم للإمام عليٍّ عليه السلام!

ومن الجدير ذكره هنا أنَّه يُقال وحسب عدد من الأخبار أنَّ عقيلاً أُصيب في آخر عمره بالعمى، أي قبل وفاته، وإن قيل بأنَّه كان أعور قبل ذلك، وبعضها يذهب إلى أنَّه أُصيب بالعمى وهو في الكوفة، ولما ذهب إلى معاوية كان كذلك، أي دخل على معاوية وقد كُفَّ بصره، فأجلسه معاوية على سريره، ثمَّ قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم!! قال: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم، وأحسَّ وانتبه لما فعله معاوية حين دخل عتبة بن أبي سفيان، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما، فقال عقيل: من هذا الذي أجلس أمير المؤمنين بيني وبينه؟ قال: أخوك وابن عمّك عتبة.

قال: أما إنه إن كان أقرب إليك مني، إني لأقرب لرسول الله صلى الله عليه وآله منك ومنه، وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وآله أرض ونحن سماء.

قال عتبة: أبا يزيد! أنت كما وصفت، ورسول الله صلى الله عليه وآله فوق ما ذكرت، وأمير المؤمنين عالم بحقّك، ولك عندنا مما تحبّ أكثر مما لنا عندك مما تكره إذن لم يمنعه العمى ولا كبر سنّه من أي حركة أو قول، بل هو يحتفظ بقدرته وانتباهه لما يدور حوله وفي مجالسه، وبحضوره الذهني وقوّة حجّته في المحاججة، وردوده القويّة على معاوية وأمثاله، حينما التقى به في أواخر عمره، وعندما يحتدم الجدال بينه وبين عقيل وبين عقيل وجلساء معاوية...

يقول عنه الجاحظ: كان عقيل رجلاً قد كفَّ بصره، وله بعد لسانه وأدبه ونسبه وجوابه، فلما فضل نظراءه من العلماء بهذه الخصال، صار لسانه بها أطول..!

كان عقيل أسرع الناس جواباً وأشد عارضة، وأحضرهم مراجعة في القول وأبلغهم في ذلك. وهذه بعض كلمات حقٍّ أطلقها عقيل، وأسمعها معاوية وجلساءه، يجدها القارئ في أي لقاء ضمَّ عقيلاً ومعاوية، وبحضور جلساء سلطانه ومريديه!

ففي مواجهة له لمعاوية، وقد سأله فأعطاه مائة ألف، ثم قال: اصعد المنبر، فاذكر ما أولاك عليٌّ من نفسه، وما أوليتُك من نفسي!

فصعد عقيل، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيها الناس، إني أخبركم أني أردتُ عليًّا على دينه، فاختار دينه! وإني أردتُ معاوية على دينه، فاختارني على دينه!

ومن أقواله الأُخرى: أخي خير لي في ديني، وأنت خير لي في دنياي، وقد آثارت دنياي، وأسأل الله خاتمة خير!

يا أهل الشام، إنَّ أخي خير لنفسه وشرّ لي، وإنَّ معاوية شرّ لنفسه، وخير لي!

إنَّ أخي آثر دينه على دنياه، وأنت آثرتَ دنياك على دينك، فأخي خير لنفسه منك لنفسك!

وجدتُ عليًّا انظر لنفسه منه لي، ووجدتُك انظر لي منك لنفسك.

فأنت خير لي من أخي، وأخي خير لنفسه منك!

وردًّا على سؤال معاوية: يا أبا يزيد، كيف تركت عليًّا؟

فقال: تركتُه على ما يُحبّ اللهُ ورسولُه، وألفيتُك على ما يكره اللهُ ورسولُه!

هذا وما أن رأى كلٌّ منهما الآخر في أول لقاءٍ لهما ـ كما يبدو من الأخبار ـ في الشام حيث معاوية وسلطانه، قال معاوية ساخراً: هذا عقيل وعمّه أبو لهب!

فقال عقيل: هذا معاوية عمّته حمالة الحطب!

وفي خبرٍ أنَّه قال: يا أهل الشام، هل سمعتم قول الله في كتابه: ﴿**تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾. قالوا: نعم. قال: فإنَّ أبا لهب عمّ عقيل. فقال عقيل: فهل سمعتم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**﴾. قالوا: نعم! قال: فإنّها عمّته. قالوا: نعم!

وأنا أقول: ويكفي ردًّا هو أنَّ معاوية لما أراد أن يغضب عقيلاً، عيّره بعمّه أبي لهب، فردّ عليه بأنَّ عمَّته حمالة الحطب، فأسكته... وليس هذا يُعدُّ ردًّا على معاوية فقط، بل

هـو يصلـح أن يكـون ردًّا ضمـن ردود عديدة على أولئك المشـككين بإيمان سـيد البطحاء وشـيخها أبي طالب رضـوان الله عليه.

إذ لـو كان أبـو طالـب رضـوان الله عليـه غـير مسـلم؛ لعـيّر معاويـة عقيلاً بـه قبل أن يُعـيّره بعمّـه، فالأب أقـرب من العـمّ، والعار به أوقع، والسـخرية والانتقـاص من عقيل بأبيـه أخطـر أثراً وأبلغ وقعـاً أمام الملإ الذين كانـوا حضوراً. لكنَّ معاوية لم يجد في سـجله مـا فيـه دنسٌ في نسـب عقيل وبيت شـيبة الحمد؛ شـيبة بني هاشـم أبي طالـب رضوان الله عليـه، إلّا مـا وجـده في أبي لهب، فلم يسـتطع كتمانه، فبـدأ به، وختم به. ولم يـردّ على عقيل بـشيءٍ أبـداً، حينما عـيّره بعمّته امـرأة أبي لهب!!

الحديدة المحماة!

ومـا أسرع مـا تَذكَّـر معاويـةُ قصةَ الحديـدة المحـماة، فراح يسـأل عقيلاً عنهـا! فبكى، وقـال: نعـم أقويـت وأصابتني مخمصـة شـديدة، فجمعتُ صبيـاني وجئتُه بهـم، والبؤس والـضرُّ ظاهـران عليهـم، فقـال: إئتني عشـية لأدفع إليك شـيئاً.

فجئتُـه يقـودني أحـدُ ولدي، فأمـره بالتنحي، ثـم قـال: ألا فدونك، فأوهيـت حريصاً قـد غلبنـي الجشـع، أظنّهـا صرةً، فوضعـتُ يـدي على حديـدة تلتهب نـاراً، فلـما قبضتها نبذتهـا، وخـرتُ كـما يخور الثور تحت يد جـازره!

فقـال لي: ثكلتـك أمُّـك، هذا من حديدة أوقـدت لها نار الدنيا، فكيف بـك وبي غداً إن سـلكنا في سلاسـل جهنم! ثم قرأ: ﴿**إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ**﴾.[1]

ثـم قـال: ليـس لك عنـدي فوق حقّـك الـذي فرضـه الله لـك إلّا ما تـرى، فانصرف إلى أهلـك! فجعـل معاويـة يتعجـب ويقـول: هيهـات هيهـات عقمـت النسـاء أن يلدن مثله!!!.

---

١ . سورة غافر: ٧١.

وفي خبرٍ: فلما سمع به معاوية، نصب كراسيه، وأجلس جلساءه.

فورد عليه، فأمر له بمائة ألف درهم، فقبضها، فقال له معاوية: أخبرني عن العسكرين.

قال: مررتُ بعسكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا ليل كليل النبيّ صلى الله عليه وآله، ونهار كنهار النبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم.

ومررتُ بعسكرك، فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة.

ثمَّ قال: مَن هذا الذي عن يمينك يا معاوية؟ قال: هذا عمرو بن العاص.

قال: هذا الذي اختصم فيه ستة نفر، فغلب عليه جزارها! فمَن الآخر؟ قال: الضحاك بن قيس الفهري.

قال: أما والله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيس.

فمَن هذا الآخر؟ قال: أبو موسى الأشعري.

قال: هذا ابن المراقة. وفي شرح النهج: السراقة.

فلما رأى معاوية أنه قد أغضب جلساءه، قال: يا أبا يزيد ما تقول فيَّ؟

قال: دع عنك.

قال: لتقولن.

قال: أتعرف حمامة؟

قال: ومَن حمامة؟

قال: أخبرتك! ومضى عقيل!

فأرسل معاوية إلى النسابة، قال: فدعاه، فقال: أخبرني مَن حمامة؟!

قال: أعطني الأمان على نفسي وأهلي، فأعطاه، قال: حمامة جدّتك، وكانت بغية في الجاهلية، لها راية تؤتى.

قال الشيخ: قال أبو بكر بن زبين: هي أمّ أمّ أبي سفيان.

ونقله ابـن أبي الحديـد في شرح النهـج (١ : ١٥٧، س٦) مـن دون نسـبة ومـع زيـادة وهـي: فلـما رأى معاويـة أنه قد أغضب جلسـاءه، علم أنه إن اسـتخبره عن نفسـه قال فيه سـوءًا، فأحـب أن يسـأله ليقول فيه مـا يعلمه من السـوء، فيذهب بذلك غضب جلسـائه (إلى أن قـال) فقـال معاوية لجلسـائه: قد سـاويتكم وزدت عليكم فـلا تغضبوا!

وقال معاوية لعقيل: إنّ فيكم يا بني هاشم لخصلة لا تعجبني.

قال: وما تلك الخصلة؟

قال: اللين.

قال: وما ذلك اللين؟

قال: هو ما أقول لك.

قـال: أجـل يـا معاويـة، إنَّ فينا للينـاً من غير ضعـف، وعـزًّا في غير عنف، فـإنَّ لينكم يـا بن صخر غـدر، وسـلمكم كفر!

فقال معاوية: ما أردنا كلّ هذا يا أبا يزيد!

فقال عقيل: لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلّا ليعلما

أنَّ السفاهة طيش من خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين (الملاعينا).

فأراد معاوية أن يقطع كلامه فقال: ما معنى كلمة (طه)؟

فقـال عقيـل: نحن أهله وعلينا نـزل لا على أبيـك ولا على عمّك ولا عـلى أهل بيتك، طه بالعبرانيـة يا رجل!

أقـول : الملتمـس لقب شـاعر جاهـلي، اختلف في اسـمه بـين جرير بن عبد المسـيح أو جريـر بـن عبـد العزى، يُقـال: إنَّـه كان يكره الظلم، ويتصف بأنه سـليط اللسـان، نسـبوا إليـه أنَّه مـن ضمن أشـعاره قال:

لذي الحلم قبل اليـوم ما تقرع العصا و مـا عُـلِّم الإنســـان إلّا ليعـلما

وهو مثل يضرب لمن إذا نُبِّه انتبه!

من طرائفه ونوادره :

عـرف الرجـل بذكائـه وسرعـة بديهيتة، وأجوبتـه الحـاضرة، وواقع ما يتكلـم به، وقد وصفـت بعـض ردوده بالطرافـة، فقد سـجلوا له أنَّه لما تـزوج فاطمة بنت عتبـة بن ربيعة، ودخـل عليها، قالـت: أين عتبة بـن ربيعة، وشـيبة بن ربيعة؟ فيسـكت عنها.

حتـى إذا دخـل عليهـا يومـاً وهو بـرم، قالت: أيـن عتبة بن ربيعة، وشـيبة بـن ربيعة؟ قـال: عـن يسـارك في النـار إذا دخلـت، فشـدّت عليهـا ثيابهـا، فجـاءت عثـمان، فذكرت ذلـك لـه فضحك!

قال معاوية لعقيل: يا أبا يزيد! أين يكون عمّك أبو لهب اليوم؟

قال: إذا دخلت جهنم، فاطلبه تجده مضاجعاً لعمّتك أمّ جميل بنت حرب بن أمية!

وفي خبرٍ قال له يوماً: يا أبا يزيد! أين ترى عمَّك أبا لهب؟

فقـال لـه عقيل: إذا دخلـت النار، فانظر عن يسـارك تجده مفترشـاً عمَّتـك، فانظر أيّها أسـوء حالاً الناكـح أم المنكوح؟!

وقال معاوية له: ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم!

قال: لكنه في نسائكم يا بني أمية أبين!

دخـل عقيـل عـلى معاوية وقد كـفّ بصره، فلم يسـمع كلامـاً، فقـال: يا معاويـة: أما في مجلسـك أحد؟

قال: بلى.

قال: فما لهم لا يتكلمون؟

فتكلم الضحاك بن قيس، فقال عقيل: مَن هذا؟

فقال له معاوية: هذا الضحاك بن قيس.

قال عقيل: كان أبوه خاصي القردة، ما كان بمكة أخصى لكلب وقرد من أبيه!

وفي خبرٍ:.. قال عقيل: يا أمير المؤمنين، ائذن لي إلى معاوية؟

قال: في حلّ محلل.

فانطلق نحوه، وبلغ ذلك معاوية، فقال: اركبوا أفره دوابكم والبسوا من أحسن ثيابكم، فإنَّ عقيلاً قد أقبل نحوكم، وأبرز معاوية سريره، فلما انتهى إليه عقيل، قال معاوية: مرحباً بك يا أبا يزيد! ما نزع بك؟

قال: طلب الدنيا من مظانها!

قال: وقفتَ وأصبتَ، قد أمرنا لك بمائة ألف، فأعطاه المائة الالف.

ثم قال: أخبرني عن العسكرين اللذين مررت بهما عسكري وعسكر عليّ.

قال: في الجماعة أخبرك أو في الوحدة؟

قال: لا بل في الجماعة.

قال: مررتُ على عسكر عليٍّ عليه السلام، فإذا ليل كليل النبيّ صلى الله عليه وآله، ونهار كنهار النبيّ صلى الله عليه وآله، إلّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيهم!

ومررتُ على عسكرك، فإذا أول من استقبلني أبو الأعور وطائفة من المنافقين والمنفرين برسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أنَّ أبا سفيان ليس فيهم!

فكفّ عنه حتى إذا ذهب الناس قال له: يا أبا يزيد! أيش صنعت بي؟

قال: ألم أقل لك: في الجماعة أو في الوحدة فأبيت عليّ؟

قال: أما الآن فاشفني من عدوي، قال: ذلك عند الرحيل.

فلما كان من الغد شدّ غرائره ورواحله، وأقبل نحو معاوية وقد جمع معاوية حوله، فلما انتهى إليه قال: يا معاوية مَن ذا عن يمينك؟

قال: عمرو بن العاص، فتضاحك، ثم قال: لقد علمت قريش أنه لم يكن أحصى لتيوسها من أبيه، ثم قال: مَن هذا؟ قال: هذا أبو موسى، فتضاحك، ثم قال: لقد علمت قريش بالمدينة أنه لم يكن بها امرأة أطيب ريحاً من قِبّ أُمّه!

قال: أخبرني عن نفسي يا أبا يزيد! قال: تعرف حمامة؟ ثم سار فألقى في خلد معاوية، قال: أُمّ من أُمهاتي لستُ أعرفها، فدعا بنسابين من أهل الشام، فقال: أخبراني أو لأضربن أعناقكما، لكما الأمان، قالا: فإنَّ حمامة جدّة أبي سفيان السابعة، وكانت بغيًّا، وكان لها بيت توفي فيه.[1]

رواياته:

نُسبت إليه عدّة روايات، وعلى قلّتها إلّا أنَّ لها أهمية في تراثنا العقدي والإمامي والتاريخي والفقهي، تدلُّ على مواكبته لبعض أحداث ومفاصل الرسالة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله ومتابعته لبعض مراحلها التي توفّرت على لقاءآت رسول الله صلى الله عليه وآله وحواراته، وقد ذكروا أنَّ هناك مَن روى عن عقيل كابنه محمد وحفيده عبد الله بن محمد، والحسن البصري وعطاء بن أبي رباح... وهكذا ذكروا له روايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكُتب له مسندٌ تضمّنها، كان منها:

أنَّه قال: جاءت قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إنَّ ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا، فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل.

فقال لي: يا عقيل التمس لي ابن عمّك، فأخرجته من كبس ـ بيت صغير ـ من أكباس أبي طالب، فأقبل يمشي معي يطلب الفيء يمشي فيه فلا يقدر عليه حتى

١. انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٩٢ـ٩٣، ١١: ٢٤٥، ٢٥٢؛ كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي ١: ٦٥ مع الهامش، ٢: ٥٥١؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٣٤: ٢٦٣، ٤٢: ١١١ـ١١٢؛ مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري ١: ٣٧ رقم ١٤٦؛ المصنّف لعبد الرزاق ٦: ٥١٣؛ أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٧٢ وأيضاً: ٧٥.

انتهى إلى أبي طالب، فقال له أبو طالب: يا ابن أخي والله ما علمت إن كنت لي لمطاعاً، وقد جاء قومُك يزعمون أنَّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم، تسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكفَّ عنهم!

فحلق ببصره إلى السماء، فقالﷺ: «والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار!

فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط، ارجعوا راشدين!

ومنها ما أخرجه أبو نعيم في الدلائل عن عقيل بن أبي طالب أنَّ النبيَّﷺ لما أتاه الستة النفر من الأنصار، جلس إليهم عند جمرة العقبة، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته والمؤازرة على دينه، فسألوه أن يعرض عليهم ما أوحي إليه، فقرأ من سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ ءَامِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾،[1] إلى آخر السورة.

فرق القوم واخبتوا حين سمعوا منه ما سمعوا وأجابوه!

ومنها أنَّه كان واحداً من الذين رووا حديث المنزلة الشريف، فعن عقيل بن أبي طالب، أنَّ رسول اللهﷺ قال لعليٍّع: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنَّه لا نبيَّ بعدي».

ومنها عن عبد الله بن عمر عن عقيل بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن الزهري، أنَّ العباس بن عبد المطلب مرَّ بالنبيِّﷺ، وهو يكلّم النقباء ويكلّمونه، فعرف صوت النبيِّﷺ، فنزل وعقل راحلته، ثمَّ قال لهم: يا معشر الأوس والخزرج، هذا ابن أخي وهو أحبُّ الناس إليَّ، فإن كنتم صدقتموه وآمنتم به وأردتم إخراجه معكم، فإنّي أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئن به نفسي، ولا تخذلوه ولا تغروه، فإنَّ جيرانكم اليهود، وهم لكم أو له عدو، ولا آمن مكرهم عليه.

---

١ سورة إبراهيم: ٣٥.

فقال أسعد بن زرارة، وشقَّ عليه قول العباس حين اتهم عليه أسعد وأصحابه: يا رسول الله ائذن لي، فلنجبه غير مخشنين (اخشن صدره تخشين: أوغره) أي أهماه من الغيظ لصدرك ولا متعرضين لشيء مما تكره إلّا تصديقاً لإجابتنا إياك وإيماناً بك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أجيبوه غير متهمين».

فقال أسعد بن زرارة، وأقبل على النبيِّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله إنَّ لكلّ دعوة سبيلاً؛ إن لين وإن شدّة، وقد دعوتنا اليوم إلى دعوة متجهمة أو متهجمة للناس، متوعرة عليهم دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك إلى دينك، وتلك مرتبة أو رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والأرحام والقريب والبعيد، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك ودعوتنا ونحن جماعة في عزّ (في المنتخب دار عزّ) ومنعة، لا يطمع فينا أحدٌ أن يرأس علينا رجلٌ من غيرنا، قد أفرده قومُه وأسلمه أعمامُه، وتلك رتبة صعبة، فأجبناك إلى ذلك، وكلّ هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس، إلّا من عزم الله على رشده، والتمس الخير في عواقبها، وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا وصدورنا إيماناً بما جئت به، وتصديقاً بمعرفة ثبتت في قلوبنا، نبايعك على ذلك، ونبايع الله ربّنا وربّك، يد الله فوق أيدينا، ودماؤنا دون دمك، وأيدينا دون يدك، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا، فإن نف بذلك، فبالله نفي، ونحن به أسعد، وإن نغدر فبالله نغدر، ونحن به أشقى، هذا الصدق منا يا رسول الله والله المستعان! ثم أقبل على العباس بن عبد المطلب بوجهه، وأما أنت أيّها المعترض لنا القول دون النبيّ صلى الله عليه وآله، فالله أعلم بما أردت بذلك، ذكرت أنه ابن أخيك، وأنه أحبّ الناس إليك، فنحن قد قطعنا القريب والبعيد وذا الرحم، ونشهد أنّه رسول الله أرسله من عنده، ليس بكذاب، وإن ما جاء به لا يشبه كلام البشر، وأما ما ذكرت أنّك لا تطمئن إلينا في أمره حتى تأخذ مواثيقنا، فهذه خصلة لا نردها على أحد لرسول الله صلى الله عليه وآله، فخذ ما شئت، ثم التفت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله خذ لنفسك ما شئت، واشترط لربّك ما شئت، فقال

النبـيّ ﷺ: «أشـترط لـربّي أن تعبـدوه، ولا تشركوا به شـيئاً ولنفسي أن تمنعـوني مما تمنعون منه أنفسـكم وأبناءكم ونسـاءكم».

وقالوا: فذلك لك يا رسول الله!

ومنها أنَّه روى عن رسول الله ﷺ حديثاً في الوضوء بالمدّ والطهور بالصاع.

«يجزئ مُدٌّ لِلْوُضُوءِ وَصَاعٌ لِلْغُسْلِ».

وعـن الحسـن، عـن عقيل بـن أبي طالـب أنَّه تـزوّج، فقيـل له: بالرفـاء والبنـين. قال: لا تقولـوا هكـذا، ولكـن قولـوا كما قـال رسـول الله: «عـلى الخير والبركـة، بـارك الله لك وبـارك عليك».

وفي روايـة: «كنـا نؤمـر بـأن نقول: بـارك الله لكـم، وبارك عليكـم، ولا نقـول بالرفاء والبنين».

وفي خـبرٍ: تـزوّج عقيـل... فخـرج علينـا فقلنـا بالرفـاء والبنين، فقـال: مـه لا تقولوا ذلـك، فـإنّ النبـيّ ﷺ قـد نهانا عـن ذلـك، وقال: قولـوا: بـارك الله فيـك وبارك لـك فيها. وعنـه أنَّـه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «يـا عـكاف ألـك زوجـة»؟ قـال: لا. قـال: «ولا جاريـة»؟ قـال: لا. قـال: «وأنـت مـوسر بخـير»؟ قـال: نعم.

قـال: «أنـت إذن مـن إخـوان الشـياطين، إمّا أن تكـون من رهبـان النصارى فأنـت منهم، وإمّـا أن تكـون منـا فاصنـع كـما نصنـع، لـو كنت مـن النصـارى لكنـت مـن رهبانهـم. وإنَّ مـن سـنتا النـكاح، شراركـم عزابكـم، وأراذل موتاكـم عزابكم، إنَّ الشـياطين يمرُسـون، ما للشـياطين من سـلاح أبلغ في الصالحين من النسـاء، إلّا المتزوجون، أولئك المطهرون المبرأون مـن الخنـا. ويحك ياعـكاف! تـزوّج، إنّهن صواحـب أيوب وداود ويوسـف وكرسـف.

قيل: ومَن كرسف يا رسول الله؟!

قـال ﷺ: «رجـل كان في بنـي إسرائيـل، يعبد الله بسـاحل من سـواحل البحـر ثلاثمائة عـام، يصـوم النهـار ويقـوم الليل، ثـمَّ إنَّه كفر بـالله العظيم في سـبب امرأة غشـيها، وترك

مـا كان عليـه مـن عبـادة الله عـزَّ وجلَّ، ثـمَّ اسـتدركه الله ببعض مـا كان من عمـل عمله، فتـاب عليـه. ويحك يا عُـكاف! تـزوّج، وإلّا فأنت مـن المذنبين! وعُكاف هـذا هو عُكاف بن وداعـة الهلالي.

أحـرم عقيـل بن أبي طالـب في ثوبين وردائين، فرآه عمـر (وكان عمر يهابـه) فقال: ما هـذا؟! فقال لـه: إنَّ أحداً لا يعلمنا بالسـنة!

وكـذا عـن أبي إسـحاق قـال: خرج عقيـل بـن أبي طالب في موردتـين، فقال لـه عمر: قـد أحرمـوا في بيـاض، فتحـرم أنـت في موردتـين؟ إنَّك لحريص عـلى الخلاف!

فقال له عقيل: دعنا منك، فإنه ليس أحد يعلمنا السنة.

فقال له عمر: صدقت صدقت![1]

في كتب علماء الرجال:

نكتفـي ببعضهم: السـيد البروجردي: عقيـل بن أبي طالب، أخـوه عليه السلام معظم لا يحتاج إلى التوصيـف، بـل هـو أجـلُّ من أن يسـطر ويحـرر، جليل عنـد أخيـه عليه السلام، وفي النبوي في جواب عـليّ عليه السلام انّـك لتحبّ عقيـلا؟ قـال: «اي والله لأحبه حبـين حبًّا له وحبًّـا لحب أبي طالـب»، الحديث.[2]

---

١ . انظـر في هـذا جامـع الأحاديـث؛ الجامـع الصغـير وزوائـده والجامـع الكبـير للحافظ جـلال الدين عبدالرحمـن السـيوطي (ت٩١١ هــ) ... الجـزء التاسـع؛ مسـند عقيـل بـن أبي طالب، رقـم ٥١٤: ٣٠ـ٣٣ أرقـام الروايـات ١٨٢٣٠ ـ٨٢٣٩؛ مسـند أحمـد بـن حنبـل، المجلـد الثالـث، حديث عقيل؛ كتـاب الاسـتيعاب في معرفـة الأصحـاب لابـن عبد البـرّ ٣: ٧٨ رقـم ١٨٣٤؛ معرفـة الثقات ١: ٣١٤؛ البحـر الزخـار المعروف بمسـند البزار، مسـند عقيل بن أبي طالب عن النبـيّ صلى الله عليه وآله: ١١٢ـ١١٥؛ المصنـف لابـن أبي شـيبة الكـوفي ٤: ٢١٤؛ المناقـب للكـوفي ٢: ٤٠ رقم ٥٢٧.

٢ . طرائـف المقـال للسـيد علي البروجردي ٢: ١٠٠ رقم ٧٦٠٢؛ السـيد الخوئي: عقيـل بن أبي طالب، من أصحاب عـلي عليه السلام، رجال الشـيخ؛ وقال ابن داود (٩٨١)، من القسـم الأول.

وروى الصدوق في الخصال بإسناده إلى ابن عباس قال: كان بين طالب وعقيل عشر سنين، وبين عقيل وجعفر عشر سنين، وبين جعفر وعلي عليه السلام عشر سنين، وكان علي عليه السلام أصغرهم. باب الثلاثة، ثلاثة إخوة بين كلّ واحد منهم وبين الذي يليه عشر سنين، الحديث ٢٤٧.

وروى الصدوق بسند ضعيف عن ابن عباس، قال: قال علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنك لتحب عقيلاً»!

قال صلى الله عليه وآله: «إي والله إني لأحبه حبين، حبّاً له وحبّاً لحب أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك...»، الحديث.[1]

وبنى السجاد عليه السلام دار عقيل بن أبي طالب التي هدمت من المال الذي بعثه إليه المختار.[2]

الشيخ الشاهرودي: هو أخو أمير المؤمنين عليه السلام يكنى أبا يزيد. وكان عالماً بأنساب العرب فصيحاً لطيف الطبع حسن المجاورة. وأخواه الآخران جعفر الطيار وطالب. وتقدم في أخيه جعفر عدة من الآيات النازلة في مدحه مع أخويه علي وجعفر صلوات الله عليهما... ويقول في ترجمة جعفر: فضائله ومناقبه كثيرة نتبرك بذكر بعضها، ونقدم الآيات التي نزلت فيه وفي إخوانه وعشيرته، وذكرنا مداركها في مستدرك سفينة، ونكتفي هنا بذكر متون الروايات.

ثمَّ راح يذكر الآيات، نكتفي منها بالتي ذكر عقيل كواحد من المصاديق فيها: قوله تعالى: ﴿**إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾.[3] هم أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة

١. الأمالي، المجلس ٢٧، الحديث ٣.

٢. ذكره الكشي في ترجمة المختار بن أبي عبيد (٥٩)؛ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ١٢: ١٧٤-١٧٥. رقم: ٧٧٥٥.

٣. سورة الحجر: ٤٧.

صلـوات الله عليهم وعقيـل وجعفـر في الجنـة كما في الحديـث النبوي.

ومنهـا: قولـه تعـالى: ﴿وَيُبَـشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِيـنَ يَعْمَلُـونَ الصَّالِحَاتِ﴾. قـال: ويبشر محمـداً بالجنـة وعلياً وجعفـراً وعقيـلاً وحمزة وفاطمـة صلـوات الله عليهم.[1]

أقـول: بمعنـى أنَّ الشـيخ ذكـر مـدارك تلـك الآيـات في كتابـه: مسـتدرك سـفينة البحـار وهـو عـشرة أجـزاء، لكنـه لم يُـشر إلى الجـزء والصفحـة، حتـى يُسـهل عـلى الباحـث؛ ليتأكّـد هـو الآخـر مـن دقّتهـا وصحتهـا. هـذا أولاً، وأما ثانيـاً فإنَّ السـيد العلامـة الطباطبائي في تفسـيره للآيـة: ﴿وَنَزَعْنَا مَـا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِـلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِـينَ﴾.[2]

وفي آخـر (بحـث روائـي) وبعـد أن ينقـل مـا جـاء مـن روايـات، يقـول: والروايات ـ عـلى مـا بهـا من الاختـلاف ـ تطبيقـات من الـرواة، والآيـة تأبى بسـياقها عـن أن تكون نازلـة في بعـض المذكوريـن، كيف؟ وهـي في جملة آيات تقـصّ ما قضـاه الله وحكم به يوم خلـق آدم وأمـر الملائكـة وإبليـس بالسـجود لـه، فأبـى إبليس، فرجمـه ثم قـضى ما قضى، ولا تعلّـق لذلك بأشـخاص بخصوصيتهـم هذا.

وثالثـاً: هنـاك آيتـان في التنزيـل العزيـز: الأولى تنتهـي بـ: ...﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْـراً كَبِيراً﴾. ﴿إِنَّ هَـٰـذَا الْقُـرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْـمُؤْمِنِينَ الَّذِيـنَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُـمْ أَجْـراً كَبِيراً﴾.[3]

فيـما الثانيـة تنتهـي بـ: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَـناً﴾. ﴿الْـحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنـزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَـابَ وَلَـمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْسـاً شَـدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْـمُؤْمِنِينَ

---

١ . مسـتدركات علـم الرجال للشـيخ عـلي النمازي الشـاهرودي ٢ : ١٣١ـ ١٣٤ رقـم ٢٤٩٢ جعفر بن أبي طالـب، ٥ : ٢٥٥ـ ٢٥٦ رقم ٩٤٥٣.

٢ . سورة الحجر : ٤٧ ؛ الآية، تفسير الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي (ت١٤٠١هـ).

٣ . سورة الإسراء : ٩ .

﴿الَّذِيـنَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَـاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَـناً﴾.[1]

ولم يوضح الشيخ أي الآيتين هي مورد للرواية أو أنهما معاً.

وفاته :

وقـد اختلفـت المصادر كثـيراً في وقت وفاتـه وموقعها ومـكان دفنه: فقد ذكـر ابن أبي الحديـد أنَّ عقيـلاً: «توفّي في خلافة معاوية في سـنة خمسـين هجرية وعمره سـتة وتسـعون سـنة. قـال ابـن الضحـاك: ولم يوقف على السـنة التـي مات فيهـا، ويقـال: إنَّ وفاته سـنة ٥٠، وفي قـولٍ سـنة ٥٢، وقيـل: في سـنة ٦٠ هـ كما ذكر السـهيلي.

أمّـا ابـن كثـير فأشـار إلى وفاته في خلافـة معاوية، وكـذا قال الـزركلي: إنّ عقيـلاً توفّي في أوّل أيـام يزيـد، وقيـل: في خلافـة معاوية. وقيل: مـات في أول خلافة يزيـد قبل الحرة.

أما جعفر النقدي، فيقول: توفى عقيل بالشام في أيام معاوية.

وقيـل: إنَّ بنـي أمية قتلـوه في الطريـق، وهو سـائر من الشـام إلى المدينة؛ لـكلام جرى بينه وبـين معاويـة. والصحيح الأول.

قبره :

أمـا بخصـوص موضع دفنـه، فهناك روايـات ذكرت وفاتـه وهو في طريقه إلى الشـام، ولم تذكـر مـكان دفنـه. فيـما يقـول أبـو الفـداء:.. الباب: بليدة صغـيرة ذات سـوق وحمام ومسـجد جامـع، ولهـا بسـاتين كثـيرة نزهـة، وأمـا بزاعـا فضويعـة مـن أعـمال البـاب، وبظاهرهـا مشـهد بـه قـبر عقيـل بـن أبي طالـب، وهـي عـلى مرحلة مـن حلـب في الجهة الشـمالية الشرقيـة، وفي بسـاتينها يقـول المنـازي مـن أبيـات، وقد اجتـاز بها:

وقانـا لفحـة الرمضـاء واد وقاه مضاعـف النبت العميم

١ . سورة الكهف : ٢ .

الشمس أنى أوجهتها يصدّ فيحجبها ويأذن للنسيم...

وكذا ذكره في صبح الأعشى، القلقشندي:

... الرابع والعشرون: عمل الباب وبزاغا وضبط الباب ... أما الباب فبليدة صغيرة، قال في تقويم البلدان: بها مشهد به قبر عقيل بن أبي طالب، وبها أسواق وحمام ومسجد جامع، وبها البساتين الكثيرة والنزه، وأما بزاغا فضيعة من أعمال الباب.

وبما أنَّه ـ على قولٍ ـ كان في المدينة وقت وفاته، فلعلَّ مكان دفنه في مقبرة البقيع إلى جوار أُمّه السيدة فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها. قريب من قبره، بقعة فيها زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله، وقبر عمّة النبيّ صلى الله عليه وآله صفية بنت عبد المطلب.

وقد ذكرت بعض المصادر أنَّ هناك في البقيع قبراً لعقيل يقع بين قبر العباس وقبور أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي قولٍ:

كان قبر صفية بنت عبد المطلب عند زاوية دار المغيرة بن شعبة، وقبرعقيل بن أبي طالب أخي عليٍّ في قبة في أول البقيع أيضاً، ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار وابن أبي طالب الجواد المشهور، وقبور أزواج النبيّ، وهي أربعة قبور ظاهرة.

وبنحوه قالت مصادر وأضافت أنَّ بإزائه قبر عقيل بن أبي طالب وقبر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب، وبإزائهم روضة فيها قبور أمهات المؤمنين، ويليها روضة فيها قبرالعباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب، وهي قبة ذاهبة في الهواء بديعة الإحكام، عن يمين الخارج من باب البقيع، ورأس الحسن إلى رجلي العباس، وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان، مغشيان بألواح بديعة الالتصاق، مرصعة بصفائح الصفر البديعة العمل.

وقال ابن النجار المتوفى ٦٤٣:

وقبر عقيل بن أبي طالب أخي عليٍّ، في قبة في أول البقيع أيضاً، ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب الجواد المشهور.[١]

فرضوان الله تعالى على عقيل بن أبي طالب

١ . انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٤ : ٩١ ؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ٢٥٠ ؛ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للسهيلي (ت٥٨١هـ) ٥ : ٣٥٣ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ٧ : ٤٧ ؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٤ ؛ الأنوار العلوية لجعفر النقدي : ١٨ ؛ صبح الأعشى في صناعة الإنشا لأحمد بن علي القلقشندي ٤ : ١٣٢ ؛ تقويم البلدان، عماد الدين إسماعيل، أبو الفداء :٣٠٧ ؛ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٢ : ٤٦٦ ؛ نهاية الإرب للنويري ٣٣ : ٢١٧ ؛ رحلة ابن جبير : ١٧٤ ؛ رحلة ابن بطوطة : ١١٩ ؛ الدرة الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار ١ : ١٦٦ ؛ السمهودي في وفاء الوفا ٣ : ٩٦.